# المحافظون الجدد: من 'التروتسكية' إلى 'العناية الإلهية!

21-2-2005

يتساءل كثير من المهتمين بالسياسة الأمريكية الخارجية عن خلفية "مباعث" الاندفاع الذي تشهده مواقف الإدارة الأمريكية الحالية. و كثيرون هم كذلك من لا يقتنعون بتفسير وجود "الجمهوريين" و عودتهم إلى سدة الحكم، بل يرون أن هيمنة "أقلية" متطرفة استغلت الهجمات التي تعرضت لها الولايات المتحدة لتبرير نظرتها في التعامل مع "بقية العالم". لكن ما هي هذه "الأقلية"، و ما هي مرجعيتها الفكرية و السياسية و ما هي أهدافها؟ هذه تساؤلات تجد بعض الإجابات و التوضيحات في تقارير ملف "المحافظين الجدد".

المحافظون الجدد: من 'التروتسكية' إلى 'العناية الإلهية!

المحافظون الجدد' في أمريكا: من هم و ماذا يريدون؟!ويليام كريستول رئيس تحرير مجلة "ويكلي ستاندارد" هو أحد "منظري" ما يسمى بتيار "المحافظين الجدد" مصدر "إلهام" الإدارة الأمريكية التي يقودها الجمهورية برئاسة الرئيس بوش الإبن. و لا يحبذ كريستول أن تلصق به "تهمة" النفوذ على البيت الأبيض، مؤكدا أن الإدارة الحالية لا تحبه شخصيا و يذكر بأنه دعم المترشح الجمهوري الآخر الذي نافس بوش خلال جولة الرئاسيات الأولى جون ماكاين الذي يعد من أكثر المتحمسين حاليا لضرب العراق و إسقاط صدام.

و يقول العارفون بخبايا دهاليز توجيه و صنع القرار الأمريكي أن كريستول و زمرته حاضرون بقوة لكن بصمت كذلك في الجدل الدائر حول ملف العراق. و قد ألف أحد زملائه و يدعى إليوت كوهين و هو أستاذ في جامعة جونز هوبكينز كتابا حول السلطة العسكرية، و نجد في إحدى مقدمات الكتاب رأي كريستول فيه حيث يقول بأنه "الكتاب الذي على الرئيس بوش قراءته". و فعلا شوهد الرئيس الأمريكي خلال عطلته في مزرعة كراوفورد في شهر أغسطس الماضي و هو يحمل الكتاب نفسه.

بدا كريستول و كأنه يوجه النقاش الحامي بخصوص الحرب خلال شهر أغسطس الماضي و اخذ يرسل رسائل الفاكس إلى هيئات تحرير الصحف و المجلات معلنا أن النقاش انتهى بعد خطاب نائب الرئيس ديك تشيني يوم 26 من نفس الشهر في ناشفيل بولاية تينيسي، و أن على بوش التوجه إلى الكونغرس للحصول على إذن بشن الحرب. و لم يتردد مرة في إحدى افتتاحياته بدعوة وزير الخارجية كولن باول بالإنسحاب و ترك شخص آخر يكمل المهمة إذا كان غير متفق مع سياسة بوش.

و رغم أن المحسوبين على تيار "المحافظين الجدد" في الأوساط الإعلامية و السياسية ليسوا أكثر من مجموعة ضيقة إلا أن آذان الإدارة الأمريكية منتبهة أكثر من المطلوب لما يقولون و يكتبون، و هذا رأي رؤساء و مستشارين سابقين على غرار جيمي كارتر و برنت سكوكروفت اللذين يدينون "المنظرين" الساعين لإدخال تغييرات جذرية على السياسة الخارجية الأمريكية سواء تجاه منطقة الخليج أو الأمم المتحدة. و قد توسع نفوذ المحافظين الجدد داخل دوائر الحزب الجمهوري خاصة كما هيمنوا على معاهد الدراسات السياسية و المكاتب الاستشارية التي تمد مختلف أجهزة الإدارة بالتحليلات و الأفكار و الاستراتيجيات. و تجد كذلك البعد النضالي واضحا في سلوكات كتاب المحافظين الجدد، فلا يترددون أحيانا في الإمضاء جماعيا على رسائل "احتجاج" مفتوحة توجه إلى البيت الأبيض خاصة بعد هجمات سبتمبر.

و يرجع بعض الأكاديميين خلفية هيمنة المحافظين الجدد إلى غياب "الثروة الثقافية الأكاديمية" التي كانت في السابق تستمد من الجامعات الكبيرة لتوجه رجال السياسة مثلما حصل عندما استعان روزفلت و بعده بثلاثين عاما كيندي بجامعيين لامعين لوضع نظرية "نيو ديل" أو "الحدود الجديدة"، كما أن كيسينغر كان لا يزال جامعيا عندما اتخذه نيكسون مستشارا له.

كما أننا نجد المحافظين الجدد ناشطين بقوة على الجبهة الإعلامية فهم قد تربعوا على شبكة فوكس نيوز التي يملكها رجل الأعمال الصهيوني روبرت مردوخ –و هو يمول أيضا ويكلي ستاندارد- و يحتلون صفحات النقاش في جريدة وول ستريت جورنال. و معروف كذلك ولاء بعض المعلقين و كتاب الافتتاحيات في أبرز الصحف و المجلات الأمريكية لهذا التيار، مثل نيويورك تايمز و واشنطن بوست و التايم و نيوزيوك، و من بينهم توماس فريدمان و ويليام سفاير و جورج ويل و تشارلز كراوثامر. و من بين السياسيين الحاليين كذلك بعض الوجوه المعروفة مثل رامسفيلد و نائبه وولفوويتز و ديك تشيني، لكن كذلك وجوه "خفية" مثل مساعد وزير الخارجية جون بولتون و حتى زوجة نائب الرئيس لين تشيني.

و إذا كانت أحداث الحادي عشر سبتمبر قد منحت تيار المحافظين الجدد مبررات قوية للدفع بأفكاره إلى الواجهة، فإنه يلقى رفضا متزايدا من المحافظين "التقليديين". و كان هؤلاء قد تجمعوا خلال انتخابات العام 1996 حول بات بوكانان الذي انهزم في الانتخابات الأولية أمام خصمه بوب دول. و يتهم الصحفي صامويل فرانسيس الذي يعد من أنصار بوكانان المحافظين الجدد بأنهم يفضلون "دولة مانحة قوية" يشكلها اليسار، و "يسعون لتصدير الديمقراطية و يرفضون سياسة العزلة". و الملفت كذلك أنهم وجدوا في الكنيسة اليمينية المتصهينة الحليف الطبيعي مستوحين أفكارها الانجيلية التي "تشارك مصير إسرائيل" في نظرهم.

تروتسكيون، فمحافظون!تتضمن قائمة المنتمين لتيار "المحافظين الجدد" عددا من أسماء شخصيات يهودية أمثال كوهين و كاغان و كراوثامر و هورووويتز إلخ...ما حدا بخصومهم إل تصنيف التيار ضمن جماعات الضغط اليهودية داخل أمريكا، مع اختلاف واحد و هو أن "مناضليه" لا يجاهرون بذلك. و وراء الاتهام خلفية تجمل مغزى ثقيلا مفاده أن ليست أمريكا هي التي تدعم إسرائيل بل إسرائيل –أو اليمين الإسرائيلي تحديدا- هو الذي "يلهم" السياسة الأمريكية من خلال المحافظين الجدد.

و الواقع بخلاف ذلك تماما مع أن مغامرة المحافظين الجدد كانت في بدايتها قصة يهودية تقريبا. فقد انطلقت من الوسط المثقف في نيويورك حيث هيمنة الفكر الماركسي و طبعته الستالينية خلال سنوات الخمسينيات. و حدث أن انشق البعض عن الشيوعية و التحقوا بالتروتسكيين الذين وضعوا مسألة النضال ضد الاتحاد السوفييتي على رأس الأولويات. و من هنا تكرس الخلاف بينهم و بين تيار اليسار التقليدي خاصة أنهم ذهبوا أبعد من أي تيار آخر في أمريكا و عارضوا سياسة "التعايش السلمي" بين القطبين ثم انفصلوا عن الحركة المعادية للحرب في فيتنام و دافعوا عن خيار محاربة الشيوعية في منطقة الهند الصينية (فيتنام).

و تفسر المواقف المذكورة ابتعاد المحافظين الجدد عن عائلتهم السياسية الأصلية (اليسار) فيما يخص الموقف من إسرائيل. فبينما أصبحت الحركة المعادية للصهيونية "موضة" في أوساط اليساريين الراديكاليين بمن فيهم اليهود، التزم التيار بموقف اليساريين "الديمقراطيين" على غرار الديمقراطيين الاجتماعيين في أوروبا الداعمين باستمرار للدولة اليهودية.

و مع بداية حقبة السبعينيات شرع في إعادة تشكل تيار المحافظين الجدد كون الذين صبوا في قالبه الفكري جاءوا من منابع إيديولوجية مختلفة و متنوعة. فهناك اليسار أو حتى أقصى اليسار النيويوركي، و هناك المحافظين التقليديين ثم المحافظين المتأثرين بالتيار الديني الذي أعيد له الاعتبار في كتاب راسل كيرك "الروح المحافظة" الصادر في عام 1953 و الذي أصبح أحد المراجع الأساسية للتيار.

و بالنسبة لهؤلاء الخلاف مفتوح مع الديمقراطيين و الجمهوريين على حد سواء. فالجمهوريون افلسوا أخلاقيا بسبب نيكسون و فضيحة واترغايت التي أفضت إلى انتخاب الديمقراطي جيمي كارتر العام 1976، الذي يمثل في نظر الذين أصبحوا يعرفون ب"المحافظين الجدد" أقصى درجة في سلم "الانحراف الأمريكي". و جاء رد الفعل عبر الالتفاف حول رونالد ريغان الذي

سيهزم كارتر في انتخابات 1980. و بعد عشرين عاما، لا تزال "الريغاينة" رمزا ل"المرحلة الذهبية" للماحافظين الجدد. فبدل التعايش السلمي طرح برنامج حرب النجوم لحمل الاتحاد السوفييتي على خوض مجهود عسكري يصعب على اقتصاده تحمله.
و باسم الحفاظ على العائلة و المسؤولية الفردية يعارض المنتمون للتيار دعم الدولة للسود بالمنح العائلية و الحد من امتلاك السلاح، و يرون مقابل ذلك أن تدخل الحكومة الأمريكية في القضايا الخارجية مبرر باعتبار أمريكا "أمة مزودة بالعناية الإلهية" و تسير وفق مقتضيات أخلاقية غير قابلة للتفاوض –على حد تعبير الرئيس بوش- و تغطي مصلحتها مصالح الإنسانية جمعاء.
و عليه استعاد المحافظون الجدد مع بوش السنوات "الريغانية"، لكن العدو هذه المرة ليس الشيوعية بل "الإرهاب الإسلامي"، و المبادئ هي نفسها التي تقود الحرب "العادلة". أما الأمم المتحدة فليست سوى بيروقراطية عديمة الفعالية و متواطئة مع الأنظمة الأكثر فسادا و بغضا في العالم و مهترئة بالأفكار المعادية للسامية، و عليه لا يخشى من مواجهتها.
بعض أبرز وجوه تيار المحافظين الجدد
إيرفينغ كريستول
يعتبر "عراب" المحافظين الجدد و هو أحد المنشطين المهمين في المعهد الأمريكي للمؤسسة و هو من أهم المعاهد التابعة لهم في واشنطن. و يقول كريستول في مذكرة خصصها لسيرته الذاتية بأنه توجهاته السياسية حملت دائما طيلة مسيرته الفكرية وصف "نيو" أو "الجديد" فانتقل من "النيوماركسية" إلى "النيوتروتسكية ثم نيواشتراكية إلى نيولبرالية و أخيرا المحافظ الجديد". و هو والد الصحفي ويليام كريستول رئيس تحرير أسبوعية ويكلي ستاندارد المشار إليه آنفا. و قد عرف عن إيرفينغ أنه كان في نهاية الستينيات من بين مثقفي تيار اليسار الأوائل الذين أحدثوا القطيعة مع المبادئ "التقدمية". و عمل أستاذا للعلوم الاجتماعية في جامعة نيويورك و اهتم خاصة بقضايا التربية و السياسات الاجتماعية.
غاري بوبير
رئيس مجموعة "القيم الأمريكية" التي تعتبر جماعة نفوذ تحتضن العديد من الكنائس البروتستانتية و ينتمي إلى المذهب المعمداني، و كان بوبير -56 عاما- أحد مستشاري رونالد ريغان في الثمانينيات. و قاد بعدها إحدى أكبر جماعات النفوذ الأمريكية المعروفة باسم "الحملة من أجل العائلا الشغيلة" التي تدعم الإجراءات الحكومية لمساعدة العائلات. و دأبت الجماعة على تمويل الحملات الانتخابية للمترشحين المحافظين. كما تراس "مجلس البحوث العائلية" و هو معهد في واشنطن مختص في السياسات الاجتماعية و التربية. كان مترشحا جمهوريا لفترة لرئاسيات 2000، و ينشط في إطار الحملة المناهضة للإجهاض و الدفاع عن الزواج في مواجهة "محاولات إعادة النظر" التي تهدده في نظره.
ريتشارد بيرل
مدير "مجلس سياسة الدفاع" و هو هيئة استشارية تابعة لوزارة الدفاع، و قد وصف من قبل أحد الصحفيين بأنه "بطل الحرب الباردة". و سبق أن تقلد بيرل -61 عاما- مناصب عالية حيث كان مساعدا لوزير الدفاع مكلفا بالأمن القومي بين عامي 1981 و 1987، حيث لعب وقتها دورا بارزا في السياسة السوفييتية التي تبنتها إدارة رونالد ريغان. و الملفت أن بيرل بدأ مسيرته رفقة أحد الوجوه المعروفة في أوساط الديمقراطيين و هو هنري جاكسون القريب من حزب الليكود اليميني الإسرائيلي. و يتردد أن وزير الدفاع رامسفيلد يهتم كثيرا بآرائه و أنه يعتقد بأن قلب نظام صدام يمكن أن "يحرك الوضع في الشرق الأوسط".
ديفيد بروكس
يبلغ الأربعينيات من عمره و هو أحد مسؤولي أسبوعية ويكلي ستاندارد و عمل سابقا في صحيفة وول ستريت جورنال. و تنشر آراؤه في نيويروك تايمز كما يشارك كمتعاون دائم في برامج

القناة التابعة للقطاع العام "بي بي أس". و عادة ما ينتقد بروكس بأسلوب ساخر و تهكمي من "نخبة اليسار" و هم الأثرياء الذين لا يفعلون شيئا في نظره لتغيير نظام اجتماعي يدعون محاربته لكنهم في الواقع يستغلون مزاياه في حياتهم الخاصة.

وثيقة 'المحافظين الجدد' : العراق هدف تكتيكي، السعودية هدف استراتيجي و مصر الجائزة الكبرى

قبل عدة أسابيع دعا ريتشارد بيرل (أحد أبرز الوجوه المحافظين الجدد ومن صقور وزارة الدفاع الأمريكية المتصهينين) قادة البنتاغون للالتقاء مع باحثي معهد دراسات استراتيجية وذي صلات وثيقة بوزارة الدفاع. وحسب المعلومات التي وصلت إلى أيدي أحد كبار قادة جهاز الدفاع الاسرائيلي السابقين، قام الباحثون بطرح وجهتي نظر. الاولى تقوم على مثلث أهداف حرب مكافحة الارهاب والدمقرطة في الشرق الاوسط : العراق هدف تكتيكي، والسعودية هدف استراتيجي، أما مصر فهي الجائزة الكبرى. أما المثلث في التصور الثاني فلم يكن أقل إثارة من الأول: فلسطين هي اسرائيل، والأردن هو فلسطين، والعراق هو المملكة الهاشمية. و هناك مؤشرات على هذا التصور يتلاءم مع أحلام بعض الشخصيات المؤثرة وصانعة القرار حول مثلث بوش - تشيني - رامسفيلد. بل وحسب مصادر مطلعة، فإن صاحب "الخطة الهاشمية" هو نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني ونائبه المتصهين بول وولفويتز، ويعتبران من "أشرس" صقور الإدارة الأمريكية، كما نقل برنامج التلفاز الروسي "Drugoye Vremya"، أن المسؤولين الأمريكيين قدموا مرتين دعوة للأمير حسن للقاء المعارضة العراقية في الصيف الماضي!، وباعتبار أن كثيرا من أطياف المعارضة العراقية المقيمة في الغرب تعتمد إلى حد كبير على واشنطن، فإن هذا الواقع قد يعزز هذه المزاعم، وأيضا، فإن واشنطن أظهرت اهتماما كبيرا بالمحادثات بين الأردن والمعارضة العراقية والتي تطرقت إلى مناقشة فكرة "المملكة الهاشمية الموحدة"!.ريتشارد بيرل وداغ فايت انضما في عام 1996 لمجموعة صغيرة من الباحثين الذين طولبوا بمساعدة بنيامين نتنياهو في خطواته الاولي كرئيس للحكومة. ولم يكن هؤلاء يعرفون في حينه أن ورقة العمل التي أعدوها والتي تتضمن خطة لاعادة العراق بمساعدة اسرائيل إلى حكم العائلة الهاشمية، ستلقي الضوء بعد أربع سنوات على سياسة "الدولة العظمى الوحيدة" في العالم في الوقت الحالي.الوثيقة التي أعدت في المعهد المقدسي في واشنطن للدراسات الاستراتيجية والسياسية المتقدمة تظهر في الانترنت، وقد تعرضت الصحافة الامريكية إليها سابقا. السياق العراقي والاسرائيلي الحالي والمناصب الرئيسية التي يشغلها هؤلاء الاشخاص اليوم في إدارة بوش تحول هذه الورقة إلى ثروة مغرية. بيرل يقف على رأس المجلس الاستشاري في وزارة الدفاع، ويعتبر أحد المفكرين الاستراتيجيين الهامين في المؤسسة الامريكية. وفايت هو نائب وزير الدفاع، الشخص رقم (3) في هيكلية البنتاغون. الوثيقة تطرح رؤية طموحة تتكون من شراكة أمريكية اسرائيلية على أساس عدم الاتكالية والنضج ومبدأ التبادل، بدلا من الشراكة التي تركز على الصراعات الاقليمية فقط.الشراكة الجديدة التي يضع بيرل وفايت بصماتهما عليها ومعهما خمسة باحثين آخرين تمد أذرعها في كل أرجاء المنطقة. في الآونة الاخيرة شكل الاردن تحديا لتطلعات سورية في المنطقة عندما اقترح إعادة الحكم الهاشمي للعراق، وبما أن مستقبل العراق يملك تأثيرا جوهريا على التوازن الاستراتيجي في الشرق الاوسط، فمن البديهي أن تكون لاسرائيل مصلحة في دعم جهود الهاشميين لاعادة تعريفه وتحديده من جديد؟!

في هذه النقطة يسير الخبيران اليهوديان اللذان كانا ولا زالا يشغلان منصبين مركزيين في البنتاغون (وتعزز تأثيرهما في عهدة الرئيس بوش ) على حبل رفيع جدا بين ولائهما لسياسة الادارات الامريكية الرسمية (بما فيها ريغان حيث شغل بيرل منصبا رفيعا في ادارته) وبين مصالح اسرائيل.